تدبر مركز تدبر للدراسات والاستشارات

إعجاز النظم القرآني

في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية

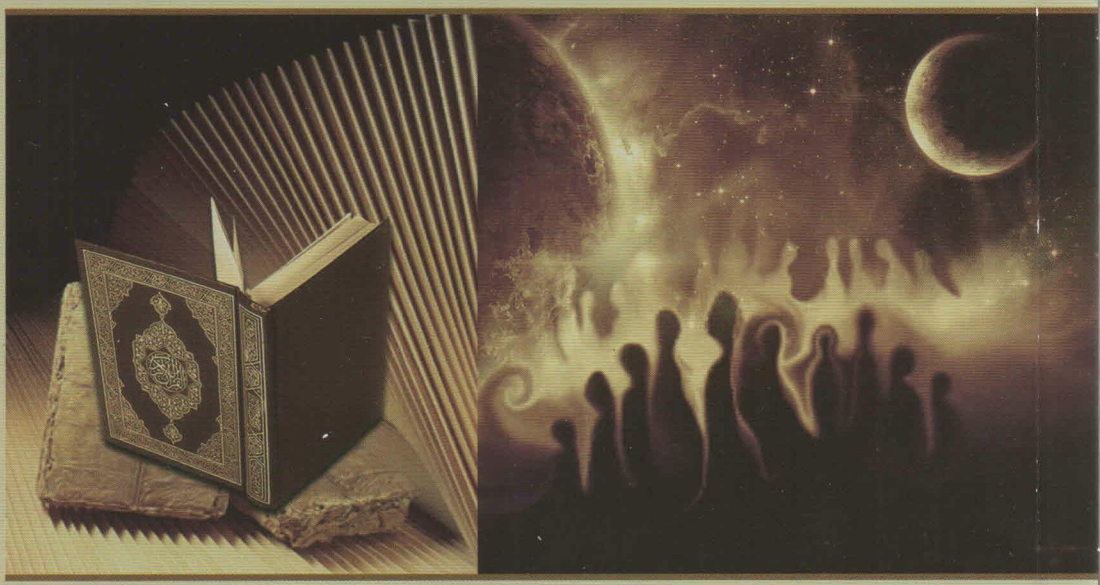

د. توفيق بن علي زبادي

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

تدبر

مركز تدبر للدراسات والاستشارات

إعجاز النظم القرآني

في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ مخرج ١٥
هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ ٠١١ ـ تحويلة ٣٣٣
ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦ ٠١١
ص.ب. ٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤
البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com
www.tadabbor.com

....

ح مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
زبادي، توفيق علي
إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية
/ توفيق علي زبادي - ط١ - الرياض، ١٤٣٦هـ
٧٢ص؛ ١٧ × ٢٢سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٧١٢-١-١

١- القرآن ـ بلاغة ٢- القرآن ـ إعجاز أ. العنوان
ديوي ٢٢٥ ١٤٣٦/ ٨٦٧٦

رقم الإيداع: ١٤٣٦/ ٨٦٧٦
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٧١٢-١-١

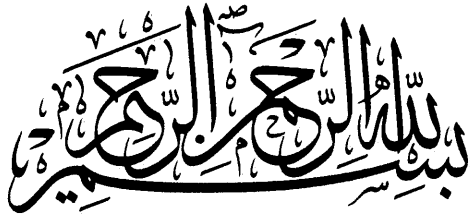
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب).. أما بعد[1]:

فإن من وسائل تدبر القرآن النظر والتفكر في النظم القرآني، وقد قمت بتجربة ذاتية في ذلك سائلًا نفسي: لماذا جاء ذكرُ السنن الاجتماعية في سياق الحديث عن السنن الكونية، سواء من جهة النظم القرآني أو من جهة علم المناسبات؟ فأكرمني الله ببعض المفاهيم التي سجلتها في هذا البحث.

ومما ظهر لي أن الله ﷻ قرن في النظم القرآني بوجوه من الإعجاز، بين سنته في تصريف شؤون كونه، وسنته في تصريف شؤون خلقه؛ ليربي عباده على معرفة طلاقة قدرته، ومشيئته في كونه، وخلقه، وأن القادر على تدبير الكون بحكمته وعدله، هو القادر على تدبير أمور خلقه بحكمته وعدله؛ وليبين أيضًا لعباده أنه سبحانه المستحق بالإفراد بالوحدانية والعبادة.

---

١) تُسمى هذه خطبة الحاجة وكان رسول الله ﷺ يفتتح بها كلامه، في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، مسند الإمام أحمد (٦/٤٦٢)، برقم (١٢٧٣).

فإذا نحن تتبعنا الآيات الكونية وجدنا ترابطًا كبيرًا بين سنن الله في الكون، وسننه في الأنفس؛ لأن كلا النوعين يخرج من مشكاة واحدة، بل إذا فهمنا سنن الله في الكون، قادنا ذلك إلى فهم سنن الله في الأنفس، وقد جرت عادة القرآن بذكر دلائل الوحدانية في الأنفس، عقب ذكر دلائلها في الآفاق، والعكس صحيح.

هذه محاولتي وهذه أهدافي، فإن وُفِّقْتُ فهذا محض فضل الله ومَنِّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل:٣٥)، وأما إذا كان غير ذلك فهو اجتهاد، فأسأل الله التوفيق والسداد والقبول الحسن، وأسأله ألا يحرمنا ثواب المجتهدين.

وكتب:

توفيق علي زبادي

خطة البحث

يحتوى البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

المطلب الأول: الإعجاز في النظم القرآني.

المطلب الثاني: النظم من وجوه إعجاز القرآن.

المطلب الثالث: بناء نظم القرآن.

المطلب الرابع: علم المناسبات.

المبحث الثاني: التعريف بالسنن الاجتماعية والكونية والفرق بينهما:

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي لـ«السنن».

المطلب الثاني: السنن الكونية تُنْقَض لتحقيق السنن الاجتماعية لحِكَم إلهية.

المطلب الثالث: مفهوم دلائل الآفاق (السنن الكونية)، ودلائل الأنفس (السنن الاجتماعية).

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية: نماذج من اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية:

المطلب الأول: اقتران سنة الله في الجزاء بين الخلق، بسنته في خلق السموات والأرض بالحق.

المطلب الثاني: اقتران سنة الله في إيتاء الملك ونزعه، بسنة الله في إيلاج الليل والنهار.

المطلب الثالث: اقتران سنة الله في النصر، بسنة الله في إيلاج الليل والنهار.

المطلب الرابع: اقتران سنة الله في الرزق، بسنة الله في خلق السموات والأرض، وتسخير الشمس والقمر.

المطلب الخامس: اقتران سنة الله في النصر بسنته في خلق السموات والأرض بالحق.

المطلب السادس: اقتران سنة الله ﷻ في التغيير بسنته الكونية.

المطلب السابع: اقتران سنة الله في التشريع بسنته في تسخير الأرض والفلك.

المطلب الثامن: اقتران سنن الله في نظام الحياة من موت وابتلاء، بسنته في السموات والأرض والماء والليل والنهار.

المطلب التاسع: اقتران سنة الله في إهلاك الظالمين، بسنته في علم الغيب.

المطلب العاشر: اقتران سنة الله في التدافع بين الحق والباطل، بسنته في إنزال الماء.

المطلب الحادي عشر: اقتران سنة الله في المكر، بسنته في ثبات الجبال الرواسي.

المطلب الثاني عشر: اقتران سنة الله في ابتلاء المكلفين، بسنته في خلق السموات والأرض.

الخاتمة، وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: الإعجاز في النظم القرآني:

تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: عجز: العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فالأول: عَجَز عن الشيء يَعجِزُ عَجْزًا، فهو عاجز؛ أي: ضعُف. ويقال: أعجَزني فلانٌ: إذا عَجَزتَ عن طلبه وإدراكه، و«لن يُعجِزَ اللهَ ﷻ شيءٌ»؛ أي: لا يَعْجَز اللهُ ﷻ عنه متى شاء، وفي القرآن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ (الجن)، و﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (العنكبوت).

وأما الأصل الآخر: فالعَجُزُ: مؤخرُ الشيءِ، والجمع: أعجاز، حتى إنهم يقولون: عَجُزُ الأمرِ، وأعجازُ الأمورِ[1].

قال الراغب ﷺ: «العجْز: أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عَجُزِ الأمر؛ أي: مؤخره، وصار في التعارف اسمًا للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة؛ قال تعالى حكاية عن ابن آدم: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ (المائدة: ٣١)،

---

١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٢٣٣.

وأعجزتُ فلانًا وعجَّزتُه وعاجزتُه: جعلتَه عاجزًا. وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٣١)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾ (الحج: ٥١)»[١].

في الاصطلاح: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة- وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم، والمعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، ولقد تحدى النبي ﷺ بالقرآن الكريم العربَ، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا مُعجِزًا[٢].

تعريف النظم في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: نظم: النون والظاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء[٣]، وضَمُّ شيء إلى شيءٍ آخَرَ[٤].

ونَظَمْتُ اللؤْلؤَ؛ أَيْ: جَمَعْتَهُ فِي السِّلْك[٥].

في الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل، مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات، على حسب ما يقتضيه العقل. وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل[٦].

---

١) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٨.

٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٢٦٥ (بتصرف).

٣) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٤٣.

٤) القاموس المحيط: ١/ ١١٦٢.

٥) لسان العرب: ١٢/ ٥٧٨.

٦) التعريفات للجرجاني: ١/ ٢٤٢.

المطلب الثاني: النظم من وجوه إعجاز القرآن:

عدَّ القرطبي ﷺ من وجوه إعجاز القرآن: النظم؛ فقال: «... النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ ﴿٦٩﴾﴾ (يس)»[1].

وقال السيوطي ﷺ: «من وجوه إعجاز القرآن: حُسْن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحتها، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادةَ العرب الذين هم فرسانُ الكلام، وأربابُ هذا الشأن. فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب، مخالفًا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له»[2].

المطلب الثالث: بناء نظم القرآن[3]:

قال ابن عاشور ﷺ: «إن نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله، ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها.

ولها دلالتها المطوية: وهي دلالة ما يُذكَرُ على ما يُقدَّرُ اعتمادًا على القرينة، وهذه الدلالة قليلة في كلام البلغاء وكثرت في القرآن؛ مثل تقدير القول، وتقدير الموصوف، وتقدير الصفة.

---

١) الجامع لأحكام القرآن: ١/٧٣.

٢) معترك الأقران: ١/ ٢٣.

٣) ذكرنا نماذج لذلك في الدراسة التطبيقية في المبحث الثالث.

ولها دلالة مواقع جمله بحسب ما قبلها وما بعدها؛ ككون الجملة في موقع العلة لكلام قبلها، أو في موقع الاستدراك، أو في موقع جواب سؤال، أو في موقع تعريض أو نحوه.

وهذه الدلالة لا تتأتى في كلام العرب؛ لقصر أغراضه في قصائدهم وخطبهم بخلاف القرآن، فإنه لما كان من قبيل التذكير والتلاوة سمحت أغراضه بالإطالة، وبتلك الإطالة تأتى تعدد مواقع الجمل والأغراض»[1].

شرح كلام ابن عاشور وبيانه:

قوله: (وفرة الإفادة)؛ أي: كثرة الخَواص والمزايا.

وقوله: (تعدد الدلالة)؛ أي: تعدد الوسائل إلى كثرة الخواص والمزايا.

وقوله: (فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية)؛ أي: أن اللفظ متى أُطْلق أو تخيل فُهِمَ منه معناه.

وقوله: (دلالتها البلاغية)؛ أي: أن يكون الكلام مطابقًا للحالة التي يتحدّث عنها، ومناسبًا للموقف الذي يتحدّث فيه..

مثال: قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ (المنافقون)، قال الفراء ﷺ: «يقول القائل: قد شهدوا للنبي ﷺ، فقالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، فكيف كذبهم الله؟ يقال: إنما أكذب ضميرهم؛ لأنهم أضمروا النفاق، فكما لم يقبل إيمانهم وقد أظهروه، فكذلك جعلهم كاذبين؛ لأنهم أضمروا غير ما أظهروا»[2].

---

١) التحرير والتنوير: ١/ ١١٠ بتصرف.

٢) معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٥٨.

فراعى النص القرآني ما أضمره المنافقون في أنفسهم فجاء مطابقًا لواقعهم المعنوي.

وقوله: (تقدير القول)؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، على تقدير القول؛ أي: وقلنا: اتخذوا.

وقوله: (تقدير الموصوف)؛ مثل: قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ (الأعلى).

اليسرى: مؤنث الأيسر، وصيغة «فعلى» تدل على قوة الوصف؛ لأنها مؤنث «أفعل»، والموصوف محذوف؛ تقديره: للشريعة اليسرى، أو: للأمور المرضية اليسرى.

وقوله: (وتقدير الصفة)؛ مثل: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۝٤٨﴾ (المائدة).

الألف واللام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للجنس؛ لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة، على تقدير الصفة المحذوفة؛ والتقدير: من الكتاب الإلهي.

قوله: (كون الجملة في موقع العلة لكلام قبلها):

التَّعْلِيل: هُوَ أَن يُرِيد الْمُتَكَلّم ذكر حكم وَاقع أَو متوقع فَيُقدم قبل ذكره عِلّة وُقُوعه.. مثل: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٧٨﴾ (آل عمران).

جملة: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ تعليل لجملة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾؛ فَعِلّة الإملاء أن يزدادوا إثمًا.

قوله: (كون الجملة في موضع استدراك):

الاستدراك: تعقيب الكلام برفع ما يوهم ثبوته؛ ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ (يوسف).

جملة: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استدراك نشأ عن جملة: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾، والمعنى: أن الله أمر يعقوب عليه السلام بأخذ أسباب الاحتياط والنصيحة، مع علمه بأن ذلك لا يغني عنهم من الله من شيء قدره لهم، فإن مراد الله تعالى خفي عن الناس، وقد أمر بسلوك الأسباب المعتادة، وعلّم يعقوب عليه السلام ذلك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون تطلّب الأمرين فيهملون أحدهما؛ فمنهم من يهمل معرفة أن الأسباب الظاهرية لا تدفع أمرًا قدّره الله وعلم أنه واقع، ومنهم من يهمل الأسباب وهو لا يعلم أن الله أراد في بعض الأحوال عدم تأثيرها.

قوله: (كون الجملة في موضع جواب سؤال)، مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ (محمد)، استئناف بياني، جواب سؤال يخطر ببال سامع قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ (محمد)، عن حال المؤمنين في الآخرة وعن رزق الكافرين في الدنيا، فبين الله أن من ولايته المؤمنين أن يعطيهم النعيم الخالد بعد النصر في الدنيا، وأن ما أعطاه الكافرين في الدنيا لا عبرة به؛ لأنهم مسلوبون من فهم الإيمان فحظهم من الدنيا أكل وتمتع كحظ الأنعام، وعاقبتهم في عالم الخلود العذاب.

قوله: (كون الجملة في موقع تعريض):

التعريض: ما يفهم السامع مراده بغير تصريح؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ (البقرة).

فقوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ تعريض بهم بذكر حال من سوء تلقيهم الشريعة؛ تارة بالإعراض والتفريط، وتارة بكثرة التوقف والإفراط؛ ولذلك قال ابن عباس ﷺ: «لو ذبحوا أية بقرة لأجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم»[1].

المطلب الرابع: علم المناسبات:

معنى المناسبة لغة واصطلاحًا:

المناسبة لغة: قال ابن فارس ﷺ في معجم مقاييس اللغة: «النون والسين والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء؛ منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نَسَبْتُ أَنْسُبُ، وهو نَسيب فلان، والنَّسيبُ: الطريق المستقيم؛ لاتصال بعضه من بعض»[2].

وقال ابن منظور ﷺ في لسان العرب: «وتقول: ليس بينهما مناسبة؛ أي: مشاكلة»[3]، والمشاكلة بمعنى: المماثلة؛ تقول: هذا شكل هذا؛ أي: مثله.

فالمناسبة لغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة.

والمناسبة في الاصطلاح: هي بيان: «وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة»[4].

أو كما يقول البقاعي: «علم تُعْرَف منه علل ترتيب أجزاء القرآن»[5].

---

١) تفسير الطبري: ١/٣٣٩.

٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس: ٥/ ٤٢٣، ٤٢٤.

٣) لسان العرب لابن منظور: ١٤ / ١١٩.

٤) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص ٩٧.

٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي: ١/ ٦.

فائدة علم المناسبات:

يقول الزركشي ﷺ: «واعلم أن المناسبة علم شريف تُحْزَرُ به العقول[1]، ويعرف به قدر القائل فيما يقول...»، ثم يقول: «وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[2].

علم المناسبات من وجوه إعجاز القرآن:

علم المناسبة مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، الذي يؤكد الترابط بين الآيات والحكمة في تسلسل المعاني، وإلحاق فكرة بأخرى، وربط حكم بآخر؛ مما يؤكد وجود نسق قرآني مترابط متلاحم، يسعى بعضه في تأكيد البعض الآخر وتوضيحه، للوصول إلى معنى مقصود، وحكمة مبتغاة، وغاية مرجوة.

يقول السيوطي ﷺ: «من وجوه إعجازه: مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني»[3].

وقال أبو بكر النيسابوري ﷺ: «إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيبًا وتماسكًا»[4].

وهذه مبالغة منه ﷺ؛ لأن الإعجاز البلاغي للقرآن لا ينحصر في علم المناسبات فقط.

---

١) أي: تُختبر ليعرف مقدار علمها. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ١/ ١٩١.

٢) البرهان للزركشي: ١/ ٣٥.

٣) معترك الأقران للسيوطي: ١/ ٤٣.

٤) المناسبات بين الآيات والسور وفوائدها: ١/ ١٤.

المبحث الثاني

التعريف بالسنن الاجتماعية والكونية والفرق بينهما

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للسنن:

المعنى اللغوي:

سن: السين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جريَان الشيء واطرادُهُ في سهولة[1].

وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسنَّها الله للناس: بيَّنها، وسنَّ الله سُنَّة؛ أي: بين طريقًا قويمًا، والسنة: السيرة، حسنةً كانت أو قبيحة[2].

المعنى الاصطلاحي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول؛ ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار»[3].

وقيل: «هي حكم الله المطَّرد في المكونات»، والمكونات تشمل: المجتمع، والأنفس، والطبيعة؛ فهذه مكونة بكلمة «كن»[4].

---

١) مقاييس اللغة: ٣/ ٤٤.

٢) لسان العرب لابن منظور، مادة سنن: ٣٩٥/٦.

٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٠/١٣.

٤) سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن: بكار محمود الحاج جاسم: ص٢٨.

تعريف السنن الكونية والسنن الاجتماعية:

السنن الكونية: هي التي تتعلق بالأشياء والظواهر والأحداث المادية والطبيعة غالبًا.

أما السنن الاجتماعية: فهي تلك السنن التي تتعلق بسلوك البشر، وأفعالهم، ومعتقداتهم، وسيرتهم في الدنيا، وفق أحوال الاجتماع والعمران البشري، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل[1].

الفرق بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية:

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ هذا الفرق الدقيق فيقول ﷺ بعد ما ذكر كثيرًا من السنن الشرعية والاجتماعية: «... وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وليست هي السنن المتعلقة بأمور الطبيعة؛ كسنته في الشمس، والقمر، والكواكب، وغير ذلك من العادات»[2].

كما بيَّنَ الدكتور عبد الكريم زيدان ﷺ هذا الفرق قائلًا: «وكل الفرق بين الأحداث الكونية المادية وبين الأحداث الاجتماعية، هو أن أسباب الأولى واضحة بينة مضبوطة، إذا عرفناها أمكننا الحكم بدقة على نتائجها وميقات هذه النتائج؛ فالماء مثلًا يتجمد إذا بلغت درجة برودته كذا درجة، ويصل إلى الغليان إذا وصلت درجة حرارته إلى كذا درجة، وبعد كذا من الوقت، وهكذا.

---

١) ينظر: مجلة الفرقان الصادرة عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالأردن، العدد ١٢٨، أكتوبر ٢٠١٢.

٢) جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق د. محمد رشاد سالم: ص: ٥٢.

أما أسباب الأحداث الاجتماعية فهي بمختلف أنواعها: من سياسية، واقتصادية، وحضارية وعمرانية، وغلبة ونصر، وهزيمة وخذلان... إلخ، أسباب دقيقة وكثيرة ومتشعبة ومتشابكة، وقد يعسر على الكثيرين الإحاطة بها تفصيلًا... ولكن مع هذا العسر يمكن للمتأمل الفاحص الدقيق أن يعرفها ويحيط بها علمًا، كما يمكنه الجزم بحصول نتائج معينة بناء على أسباب معينة، وإن لم يمكنه الجزم بميعاد حصول هذه النتائج، فنستطيع مثلًا أن نحكم على وجه الجزم واليقين بزوال حكم أو سلطان إذا وجدناه قائمًا على الظلم والإرهاب، وإن كنا لا نستطيع تحديد وقت زواله على وجه الدقة والضبط كما نحدد ميعاد غروب الشمس أو شروقها.

ومن أجل هذا الفرق بين الأحداث الكونية المادية، وبين الأحداث البشرية، يغفل الناس كثيرًا عن سنة الله في الاجتماع البشري، وفي تصرفات وسلوك الأفراد والأمم، ويظنون أن أمورهم لا تخضع- كما تخضع الظواهر الكونية- لقانون الأسباب والمسببات»[1].

المطلب الثاني: السنن الكونية تُنْقَض لتحقيق السنن الاجتماعية لحِكَم إلهية:

إن سنن الله في الكون المادي، تجري وتقع بطريق القهر والتنجيز «الآنية»، أما سننه في الحياة الإنسانية فهي سنن مرنة- غير قهرية- تحمل خاصية الإمهال بعض الوقت لصالح الإنسان؛ فهي غير آنية، وإن كانت تنفذ وتقع ولا بد في نهاية المطاف هذا من جهة.

---

١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، للدكتور عبد الكريم زيدان، ص: ٢٤-٢٥.

ومن جهة ثانية، فإن السنن الاجتماعية، مع اتسامها بالمرونة، فإنها مطردة لا تتخلف، ولا يمكن أن تتخلف، أما سنن الله في الكون المادي فقد تنخرق وتتخلف لتحقيق اطراد السنن الاجتماعية[1].

قال ابن تيمية ﷺ عن السنة الكونية: «... فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاءه من الحكم؛ كما حبس الشمس على يوشع[2]، وكما شق القمر لمحمد ﷺ[3]، وكما ملأ السماء بالشهب، وكما أحيا الموتى غير مرة[4]، وكما جعل العصا حية[5]، وكما أنبع الماء من الصخرة بعصا[6]، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ[7]»[8].

---

١) سنن الله في الأمم، حسن الحميد: ص ٢٥-٢٦ بتصرف.

٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**» (مسند أحمد: ٨٢٩٨) قال الألباني: «صحيح»، السلسلة الصحيحة: ٢٠٢.

٣) عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى، فقال: «**اشهدوا**» (البخاري: باب انشقاق القمر، ٣٨٦٩).

٤) كما أحيا طائفة من بني إسرائيل بعد موتهم بالصاعقة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ (البقرة:٢٥٩).

٥) ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (طه: ٢٠).

٦) ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴿٦٠﴾﴾ (البقرة: ٦٠).

٧) عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: «عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه، كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مئة». (صحيح البخاري: باب: علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ١٩٣، ح ٣٥٧٦).

٨) جامع الرسائل لابن تيمية: ١/٥٢.

وهذه السنن الثابتة لا تُقَيِّد مشيئة الله الطليقة، يقول سيد قطب ﷺ: «... وإلى جانب هذه السنن الثابتة- في عمومها- مشيئة الله الطليقة لا تقيدها هذه السنن وإن كانت من عملها»[1].

المطلب الثالث: مفهوم دلائل الآفاق (السنن الكونية) ودلائل الأنفس (السنن الاجتماعية):

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت).

قال ابن كثير ﷺ: «أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحُجَجنا على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله ﷻ على رسوله ﷺ بدلائل خارجية ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

وعن مجاهد، والحسن، والسدي؛ في قوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ قالوا: وقعة بَدْر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حَلّت بهم، نصر الله فيها محمدًا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما رُكِّبَ الإنسان منه أو فيه أو عليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحِيَله وحذره أن يجوزها»[2].

---

١) في ظلال القرآن: ٤/ ١١٢٠.

٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ١٨٧.

قال ابن عاشور ﷺ: «المراد بالآيات في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ ما يشمل الدلائل الخارجة عن القرآن وما يشمل آيات القرآن، فإن من جملة معنى رؤيتها رؤية ما يصدق أخبارها ويبين نصحها إياهم بدعوتها إلى خير الدنيا والآخرة...

الأحسن أن يكون ﴿فِي ٱلْآفَاقِ﴾ على عمومه الشامل لأُفُقهم، ويكون معنى ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أنهم يرون آيات صدقه في أحوال تصيب أنفسهم؛ مثل ما شاهدوه من مصارع كبرائهم يوم بدر، وأية عبرة أعظم من مقتل أبي جهل يوم بدر؟! رماه غلامان من الأنصار وتولى عبد الله بن مسعود ذبحه وثلاثتهم من ضعفاء المسلمين! وهو ذلك الجبار العنيد! وقد قال عند موته: لو غير أكّار[1] قتلني، وأي عظة أبلغ من مقتل أبي بن خلف يومئذ بيد النبي ﷺ، وقد كان قال له بمكة: «أنا أقتلك»، وقد أيقن أُبَيٌّ بذلك فقال لزوجه ليلة خروجه إلى بدر: والله لو بصق علي لقتلني!»[2].

وقال السعدي ﷺ: «فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ من تلك الآيات،

---

١) «الأكّار»: بِفَتْح الْهَمزَة وَتَشْديد الْكَاف: الحفّار والحرّاث، والجميع أَكَرَةٌ وأكّارون. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ١/ ٣١.

٢) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٩٣.

بيانًا لا يقبل الشك ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾، وما اشتمل عليه حق، وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء»[1].

الهدايات:

١) إن (الآيات في الأنفس)، لا تشمل علم التشريح فقط بل يضاف إليها حلول العقوبات بالمجرمين، ونصر الله للمؤمنين.

٢) أن نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق وفي الأنفس من آيات الله الدالة على قدرته، وأن نوسع بما يكشفه العلم مدى ما تدل عليه الآيات القرآنية في تصورنا، وفق الضوابط العلمية المعتبرة عند العلماء.

١) تفسير السعدي: ص٧٥٢.

المبحث الثالث:

نماذج من إعجاز النظم القرآني

في اقتران[1] السنن الاجتماعية بالسنن الكونية

(الدراسة التطبيقية)

المطلب الأول: اقتران سنة الله في الجزاء بين الخلق بسنته في خلق السموات والأرض بالحق:

سنة الجزاء بالعدل سنة من سنن الله ﷻ في خلقه، كما أن خلق السموات والأرض سنة من سننه في الكون، يحكم كليهما قاعدةٌ واحدة هي قاعدة العدل.

ومن أسماء الله الحسنى (العدل)، ولم يأت هذا الاسم في القرآن الكريم وقد جاء في حديث الأسماء الحسنى[2].

معنى العدل في حق الله تعالى:

هو الذي يصدر منه فعل العدل، وهو المضاد للجور والظلم، وهو الذي لا

---

١) الاقتران: كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٨/١. وفي هذا المعنى ورد تفسير عمر بن الخطاب لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ (التكوير)؟ قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار؛ فذلك تزويج الأنفس. انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٨.

٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل...**». انظر: شرح السنة للبغوي: ٥/ ٣٢.

يميل به الهوى فيجور في الحكم، وإذا آمن العبد بأن الله هو العدل لم يعترض عليه في أحكامه وتدبيره وسائر أفعاله، وافقت مراد العبد أو لم يوافق؛ لأن كل ذلك عدل وهو كما ينبغي وعلى ما ينبغي[1].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الجاثية).

التفسير الإجمالي:

أحسب الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نصيّرهم- في الجزاء- مثل الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، بحيث يستوون في الدنيا والآخرة؟! قبح حكمهم، وخلق الله السموات والأرض لحكمة بالغة، ولم يخلقهما عبثًا، ولتجزى كل نفس بما كسبته من خير أو شرّ، والله لا يظلمهم بنقص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

من وجوه الإعجاز في نظم الآيات:

من دلالة نظم القرآن: دلالة مواقع جُمَلِه بحسب ما قبلها وما بعدها.

قال ابن عاشور ﷺ: «... وهذه الدلالة لا تتأتى في كلام العرب؛ لقصر أغراضه في قصائدهم وخطبهم، بخلاف القرآن، فإنه لما كان من قبيل التذكير والتلاوة سمحت أغراضه بالإطالة، وبتلك الإطالة تأتى تعدد مواقع الجمل والأغراض.

---

١) أسماء الله الحسنى، د. فاروق حمادة: ص١٢٨.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، بعد قوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾، فإنَّ قوله: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إلى آخره مفيد بتراكيبه فوائد من التعليم والتذكير، وهو لوقوعه عقب قوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ واقعٌ موقع الدليل على أنه لا يستوي من عمل السيئات، مع من عمل الصالحات، في نعيم الآخرة»[1].

قال ابن عطية ﷺ في نظم الآيات: «قوله تعالى: ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾، في موقع العِلّة للجملة التي قبلها: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾، «واللام في قوله: ﴿وَلِتُجۡزَىٰ﴾ يظهر أن تكون لام «كي»[2]، فكأن الجزاء من أسباب خلق السموات والأرض»[3].

وقال الرازي ﷺ: «والمعنى أن المقصود من خلق هذا العلم إظهار العدل والرحمة، وذلك لا يتم إلا إذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت في الدرجات والدركات بين المحقين وبين المبطلين»[4].

---

١) التحرير والتنوير: ١/ ١٠٨.

٢) ولها احتمال آخر: أن تكون لام الصيرورة؛ أي: صار الأمر فيها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها آخرون؛ لأن يجازى كل أحد بعلمه وبما اكتسب من خير أو شر. انظر: تفسير ابن عطية: ٥/ ٨٦.

٣) تفسير ابن عطية: ٥/ ٨٦.

٤) تفسير الرازي: ٢٧/ ٦٧٧. بتصرف.

وجه الاستدلال: اقتران سنته في الجزاء وسنته في خلق السموات والأرض بالحق بأن كليهما قائم على العدل.

قال ابن عاشور ﷺ: «... ووجه الاستدلال أن خلق السموات والأرض تبين كونه في تمام الإتقان والنظام، بحيث إن دلائل إرادة العدل في تصاريفها قائمة، وما أودعه الخالق في المخلوقات من القوى مناسب لتحصيل ذلك النظام الذي فيه صلاحهم فإذا استعملوها في الإفساد والإساءة كان من إتمام إقامة النظام أن يعاقبوا على تلك الإساءة، والمشاهد أن المسيء كثير ما عكف على إساءته حتى الممات، فلو لم يكن الجزاء بعد الموت حصل اختلال في نظام خلق المخلوقات وخلق القوى الصادر عنها الإحسان والإساءة»[1].

وهذا المعنى تكرر في آيات كثيرة وكلما ذكر شيء منه أتبع بذكر الجزاء:

منها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران).

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الدخان).

قال سيد قطب ﷺ: «... فالحق هو الذي يقوم به الكون، كما تقوم به حياة الناس. والذي يتحقق في التفرقة بين المسيئين والمصلحين، في جميع

١) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٥٦.

الأحوال، وفي مجازاة كل نفس بما كسبت من هدى أو ضلال، وفي تحقيق العدل للناس أجمعين»[1].

الـهـدايات:

من نظم الآيات يُستدل على أن من سنته ﷻ عدم التسوية بين المختلفين.

ومن أدلة ذلك: قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (القلم)؛ أي: أنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟! كلا، فكيف تظنون ذلك؟![2].

وفي تفسير القرطبي ﷺ: قال ابن عباس: «قال كفار مكة: إنا نُعطَى في الآخرة خيرًا مما يُعطَى المسلمون. فنزلت الآية، ثم وبَّخهم فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكمَ الأعوجَ كأن أمر الجزاء مفوّض إليكم، حتى تحكموا فيه بما شئتم»[3].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ (ص)؛ معناه أن الله تعالى قد نفى المساواة بين المؤمنين والكفار، وبين المتقين والفجار؛ فلا تَساويَ بينهم في الآخرة، ولا مساواةَ أيضًا بينهم في الدنيا[4].

---

١) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٢٣٠ بتصرف.

٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤٠٧.

٣) تفسير القرطبي: ١٨/٢٤٦.

٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤/ ١٦٣٤.

المطلب الثاني: اقتران سنة الله في إيتاء الملك ونزعه، بسنة الله في إيلاج الليل والنهار كلٍّ في الآخر:

من دلالة نظم القرآن: دلالة مواقع جُمَلِه بحسب ما قبلها وما بعدها ومنها: موقع التعريض[1]:

فالمُلْك الظالم قد يطول؛ ولذلك يشبه بالليل في طول ظلامه، ثم يأتي الفجر عندما يبلغ الظلام أشده. والليل والنهار آيتان يراهما كل مُمَيِّز كل يوم، فناسب أن يشبه الملك الظالم بالليل والملك الصالح بالنهار، وأن الحياة لا تدوم ليلًا، ولا تدوم نهارًا، فكذلك الملك الظالم لا يدوم، بل يأتي عليه ضوء النهار فيمحوه.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (آل عمران).

التفسير الإجمالي:

قل- أيها الرسول- مثنيًا على ربك ومعظمًا له: اللَّهُمَّ أنت مالك الملك كله في الدنيا والآخرة، تؤتي الملك من تشاء من خلقك، وتنزعه عمن تشاء، وتُعز من تشاء منهم، وتذل من تشاء، وكل ذلك بحكمتك وعدلك، بيدك وحدك الخير كله، وأنت على كل شيء قدير، تدخل الليل في النهار، فيطول وقته، وتدخل النهار في الليل، فيطول وقته.

---

١) قال السكاكي ﷺ: «التعريض: ما سيق لأجلِ موصوفٍ غيرِ مذكورٍ، ومنه أن يخاطَب واحد ويُراد غيره، وسمي به؛ لأنه أمِيل الكلام إلى جانب مشارًا به إلى آخر، يقال: نظر إليه بعرض وجهه؛ أي: جانبه». معترك الأقران: ١/ ٢٢١.

من وجوه الإعجاز في النظم القرآني في الآيات: التعريض:

قال ابن عاشور- في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ ﴾-: «استئنافٌ ابتدائيٌّ، المقصود منه التعريض بأهل الكتاب بأن إعراضهم إنما هو حسد على زوال النبوءة منهم، وانقراض الملك منهم، بتهديدهم وبإقامة الحجة عليهم في أنه لا عجب أن تنتقل النبوءة من بني إسرائيل إلى العرب»[1].

وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾: «... وفي هذا رمز إلى ما حدث في العالم من ظلمات الجهالة والإشراك، بعد أن كان الناس على دين صحيح كدين موسى، وإلى ما حدث بظهور الإسلام من إبطال الضلالات؛ ولذلك ابتدئ بقوله: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾؛ ليكون الانتهاء بقوله: ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾، فهو نظير التعريض الذي في قوله: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾، والذي دل على هذا الرمز افتتاح الكلام بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[2].

الهدايات:

١) في الآية دلالة على قدرة الله وحكمته في تصريفه ملكه؛ قال الشيخ رشيد رضا ﷺ: «أي: إنك بحكمتك في تدبير الأرض وتكويرها، وجعل الشمس بحسبان، تزيد في أحد الجديدين ما يكون سببًا لنقص الآخر، فلا ينكر على قدرتك وحكمتك أن تؤتي النبوة والملك من تشاء، كمحمد وأمته، وتنزعهما ممن تشاء كبني إسرائيل، فإنك تتصرف في شؤون الناس كما تتصرف في الليل والنهار»[3].

---

١) التحرير والتنوير: ٣/ ٢١٢.

٢) المرجع السابق: ٣/ ٤١٢.

٣) المنار: ٣/ ٢٢٦.

٢) وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من أهل الظلم والإجرام، ويؤتيه أهل الإيمان والعدل.

٣) إن حصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية، التي هي سبب بقاء الملك وحصوله، وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله، لا يوجد سبب يستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر.

المطلب الثالث: اقتران سنة الله في النصر، بسنة الله في إيلاج الليل والنهار:

قرن الله بين سنته في نصر الذي بُغِيَ عليه، بسنته في إيلاج الليل والنهار؛ إيماءً إلى أن القادر على إيلاج النهار في الليل قادر على نصرة المظلوم.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ (الحج).

التفسير الإجمالي:

ذلك المذكور من إدخال المهاجرين في سبيل الله الجنة، ومن الإذن بمقابلة المعتدي بمثل ما اعتدى، بحيث لا إثم عليه في ذلك، فإذا عاود المعتدي اعتداءه، فإن الله ينصر المعتدى عليه، إن الله عفو عن ذنوب المؤمنين، غفور لهم، ذلك النصر

للمعتدى عليه؛ لأن الله قادر على ما يشاء، ومن قدرته إدخال الليل في النهار، والنهار في الليل، بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها، ذلك المذكور من إدخال الله الليل في النهار، والنهار في الليل؛ لأن الله هو الحق فدينه حق، ووعده حق، ونصره للمؤمنين حق، وأن ما يعبده المشركون من دون الله من الأوثان هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي على خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والجلال.

من وجوه الإعجاز في النظم القرآني في الآيات: الإيجاز[1]:

قال ابن عطية ﷺ: «معناها: نصر الله أولياءه ومن بُغِيَ عليه، بأنه القادر على العظائم الذي لا تضاهى قدرته، فأوجزت العبارة بأن أشار بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى النصر، وعبر عن القدرة بتفصيلها فذكر منها مثلًا لا يُدْعَى لغير الله تعالى، وجعل تقصير الليل وزيادة النهار وعكسهما إيلاجًا تجوزًا وتشبيهًا»[2].

ومن وجوه الإعجاز: المناسبة بين الآيات:

تساءل الرازي ﷺ عن سبب تعلق الآيتين إحداهما بالأخرى؛ فقال: «أيُّ تعلُّقٍ لقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ بما قبله؟».

---

١) قال السيوطي ﷺ: «من وجوه إعجازه: إيجازه في آية وإطنابه في أخرى؛ وهما من أعظم أنواع البلاغة، والإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، أو: هو أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف». معترك الأقران: ١/ ٢٢٢، بتصرف يسير.

٢) تفسير ابن عطية: ٤/ ١٣١.

ثم أجاب فقال: «والجواب: من وجهين: أحدهما: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك النصر بسبب أنه قادر، ومن آيات قدرته البالغة كونه خالقًا لليل والنهار ومتصرفًا فيهما، فوجب أن يكون قادرًا عالمًا بما يجري فيهما، وإذا كان كذلك كان قادرًا على النصر مصيبًا فيه. وثانيهما: المراد أنه سبحانه مع ذلك النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج أحدهما في الآخر»[1].

وقال صاحب التحرير والتنوير ﷺ: «وفي ذكر الليل والنهار في هذا المقام إدماج تشبيه الكفر بالليل والإسلام بالنهار؛ لأن الكفر ضلالةُ اعتقادٍ، فصاحبه مثل الذي يمشي في ظلمة، ولأن الإيمان نور يتجلى به الحق والاعتقاد الصحيح، فصاحبه كالذي يمشي في النهار؛ ففي هذا إيماء إلى أن الإيلاج المقصود هو ظهور النهار بعد ظلمة الليل؛ أي: ظهور الدين الحق بعد ظلمة الإشراك، ولذلك ابتدئ في الآية بإيلاج الليل في النهار؛ أي: دخول ظلمة الليل تحت ضوء النهار»[2].

ويقول صاحب الظلال ﷺ عن المناسبة بين الآيتين: «والسياق يوجه النظر إلى تلك الظاهرة الكونية المكررة حتى لا يمر الناس عليها غافلين؛ ليفتح بصائرهم ومشاعرهم على يد القدرة، وهي تطوي النهار من جانب، وتسدل الليل من جانب، وهي تطوي الليل من جانب، وتنشر النهار من جانب، في دقة عجيبة لا تختل،

---

١) تفسير الرازي: ٢٣/ ٢٤٥.

٢) التحرير والتنوير: ٣١٥/١٧.

وفي اطراد عجيب لا يتخلف، وكذلك نصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يدفع عن نفسه العدوان، إنه سنة مطردة كسنة إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل، فكذلك يزوي الله سلطان المتجبرين وينشر سلطان العادلين، فهي سنة كونية، تلك السنة يمر عليها الناس غافلين كما يمرون على دلائل القدرة في صفحة الكون وهم لا يشعرون»[1].

الـهـدايات:

١) في الآية دلالة على القدرة الإلهية؛ قال القرطبي ﷺ: «أي: ذلك الذي قصصت عليك من نصر المظلوم هو بأني أنا الذي أولج الليل في النهار، فلا يقدر أحد على ما أقدر عليه؛ أي: من قدر على هذا قدر على أن ينصر عبده»[2].

٢) في الآية وعد من الله للمؤمنين بالنصر على أعدائهم إذا أخذ المؤمنون بأسباب النصر كما علمهم الله في كتابه.

٣) الثقة واليقين في نصر الله للمؤمنين، وإن تأخر فلحِكَم يعلمها سبحانه وتعالى.

٤) إثبات صفات الله تعالى: العلم، والحلم، والمغفرة، والسمع، والبصر، والعفو، والعلو على الخلق، والعظمة الموجبة لعبادته، وترك عبادة من سواه.

---

١) في ظلال القرآن: ٤ - ٨ / ٢٤٤١.

٢) تفسير القرطبي: ١٢ / ٩٠.

المطلب الرابع: اقتران سنة الله في الرزق، بسنة الله في خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر في النظم القرآني:

قرن سبحانه بين سنته في رزق العباد بسنته في خلق السموات والأرض وتسخيره ما فيهما؛ لإمدادهم بما يعينهم على الحياة المقدرة لهم.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (العنكبوت).

التفسير الإجمالي:

ولئن سألت- أيها الرسول- هؤلاء المشركين: مَن خلَق السموات؟ ومَن خلق الأرض؟ ومَن سخر الشمس والقمر دائبين؟ ليقولُنّ: اللهُ هو الذي خلق السموات، وخلق الأرض، وسخر الشمس والقمر دائبين، فيكف يصرفون عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة، لا تنفع ولا تضرّ؟! الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.

ولئن سألت- أيها الرسول- المشركين: مَن نزّل من السماء ماء فأنبت به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولُنّ: اللهُ هو الذي أنزَل المطر من السماء، وأنبت به الأرض.

قل- أيها الرسول-: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا بالله أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

من وجوه الإعجاز في الآيات: المناسبة بين الآيات: (اقتران سنة الله في الرزق مع سنة الله في الخلق):

قال الرازي ﷺ: «لمَّا بيَّن الخلق ذكر الرزق[1]؛ لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الإنسان بالرزق»[2].

وقال سيد قطب ﷺ: «وبين السؤال عن خالق السموات والأرض، ومسخر الشمس والقمر، والسؤال عن منزل الماء من السماء، ومحيي الأرض بعد موتها، يقرر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له؛ فيربط سنة الرزق بخلق السموات والأرض وسائر آثار القدرة والخلق.

والرزق ظاهر الارتباط بدورة الأفلاك، وعلاقتها بالحياة والماء والزرع والإنبات. وبسط الرزق وتضييقه بيد الله وفق الأوضاع والظواهر العامة المذكورة في الآيات. فموارد الرزق من ماء ينزل، وأنهار تجري، وزروع تنبت، وحيوان يتكاثر. ومن معادن وفلزات في جوف الأرض، وصيد في البر والبحر.. إلى نهاية موارد الرزق العامة، تتبع كلها نواميس السموات والأرض، وتسخير الشمس والقمر تبعية مباشرة ظاهرة. ولو تغيرت تلك النواميس عما هي عليه أدنى تغيير، لظهر أثر هذا في الحياة كلها على سطح الأرض، وفي المخبوء فيها من الثروات الطبيعية الأخرى، سواء بسواء. فحتى هذا المخبوء في جوف الأرض، إنما يتم تكوينه وتخزينه واختلافه من مكان إلى مكان، وفق أسباب من طبيعة الأرض ومن مجموعة تأثراتها بالشمس والقمر»[3]!

---

١) وقد قرن سبحانه بين الخلق والرزق في مواضع من كتابه منها: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٤)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ (الروم: ٤٠)، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ (الذاريات).

٢) تفسير الرازي: ٢٧/٢٥.

٣) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٧٥١.

من وجوه الإعجاز في الآيات: الفاصلة القرآنية:

من إعجاز القرآن في النظم القرآني: فواصل الآيات التي تتعلق بمضمون الآية وتناسبها مع سياق نظمها؛ يقول الزركشي ﷺ: «اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة: مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله؛ فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولًا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب»[1].

وعن مناسبة تذييل الآيات بالفاصلة القرآنية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾؛ قال ابن عاشور ﷺ: «الإفادة أن ذلك كله جارٍ على حكمة لا يطلع عليها الناس، وأن الله يعلم صبر الصابرين وجزع الجازعين»[2].

فالله سبحانه وتعالى يرزق عباده وفق مصالحهم؛ فمنهم من يصلحه الفقر، ومنهم من يصلحه الغنى، وقد ورد عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله تبارك وتعالى؛ قال: «**يقول الله عز وجل: ... وإن من عبادي المؤمنين لَمَن يسألني الباب من العبادة، فأكفه؛ علَّه ألا يدخله عُجبٌ، فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لَمَن لا يُصلِح إيمانَه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لَمَن لا يُصلِح إيمانَه إلا الفقرُ، ولو أغنيته لأفسده ذلك**»[3].

---

١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٧٨.

٢) التحرير والتنوير: ٢١/ ٢٨.

٣) شرح السنة للبغوي: ٥/٢٢.

مثال آخر للفاصلة القرآنية:

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ (الحديد).

قرنت الآية بين سنة الإحياء والإماتة، وتصرفه سبحانه في ملك السموات والأرض.

ومن وجوه الإعجاز: المناسبة بين كلمات الآية:

فإنه سبحانه لما ذكر من دلائل الآفاق: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ذكر بعده دلائل الأنفس فقال: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

الهدايات:

١) إثبات الصفات الفعلية لله تعالى؛ وهي: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة؛ الموجبة لحمده سبحانه وشكره على نعمه.

٢) كثيرًا ما يقرر القرآن توحيد الألوهية، بعد الاعتراف بتوحيد الربوبية، التي كان المشركون يدينون بها؛ ليقرر كونه الواحد في عبادته كما أنه الواحد في ملكه.

٣) إن الغنى والفقر لا يدلان على رضا الرب ولا على سخطه، وإنما يدلان على علم الله وحكمته وحسن تدبيره.

المطلب الخامس: اقتران سنة الله في النصر، بسنته في خلق السموات والأرض بالحق في النظم القرآني:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾ (الروم).

التفسير الإجمالي:

غلبَت فارسُ الرومَ في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس، والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبونهم، في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الرومُ فارسَ يفرح المؤمنون بنصر الله للروم؛ لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالب، الرحيم بعباده المؤمنين، وعد الله بنصرهم عليهم وعدًا والله لا يخلف ما وعد، ولكن معظم الناس لا يعلمون ذلك؛ لجهلهم بخالقهم، لا يعلمون الإيمان، وأحكام الشرع، وإنما يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا يتعلق بكسبهم

لمعاشهم، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها. أولم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها؟!

ما خلق الله السموات وما خلق الأرض إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلًا محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم يوم القيامة لكافرون؛ لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم.

أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم؟! كانت هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلبوا الأرض للزراعة والتعمير، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج الواضحة على توحيد الله، فما ظلمهم الله حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون؛ بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، ثم كانت نهايةُ الذين أساءوا أعمالهم بالشرك بالله، وعمل السيئات: النهايةَ البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

من وجوه الإعجاز في الآيات: المناسبة بين الآيات:

مناسبة ذكر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ ﴿٨﴾﴾ (الروم)، بعد الكلام عن سنة الله في النصر، قال ابن عاشور ﷺ: «... ومناسبة هذا الانتقال أن لإحالتهم رجوع الدالة إلى الروم بعد انكسارهم، سببين:

أحدهما: اعتيادهم قصر أفكارهم على الجولان في المألوفات دون دائرة الممكنات، وذلك من أسباب إنكارهم البعث، وهو أعظم ما أنكروه لهذا السبب.

وثانيهما: تمردهم على تكذيب الرسول ﷺ بعد أن شاهدوا معجزته؛ فانتقل الكلام إلى نقض آرائهم في هذين السببين»[1].

ومن وجوه الإعجاز في النظم القرآني: التقديم والتأخير[2]:

قال الرازي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٨﴾﴾: «قدم هاهنا دلائل الأنفس على دلائل الآفاق، وفي قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾﴾ (فُصِّلَتْ)، قدم دلائل الآفاق؛ وذلك لأن المفيد إذا أفاد فائدة يذكرها على وجه جيد يختاره، فإنْ فهمه السامع المستفيد فذلك، وإلا يذكرها على وجه أبين منه، وينزل درجة فدرجة، وأما المستفيد فإنه يفهم أولًا الأبين، ثم يرتقي إلى فهم ذلك الأخفى الذي لم يكن فهمه فيفهمه بعد فهم الأبين المذكور آخرًا، فالمذكور من المفيد آخرًا مفهوم عند السامع أولًا.

إذا عُلم هذا فنقول: هاهنا الفعل كان منسوبًا إلى السامع؛ حيث قال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾؛ يعني: فيما فهموه أولًا ولم يرتقوا إلى ما فهموه ثانيًا، وأما

---

١) التحرير والتنوير: ٢١/٥١.

٢) هو: تبادل في مواقع الكلمات؛ بحيث تترك كلمة مكانها في المقدمة؛ لتحل كلمة أخرى محلها؛ وذلك لتؤدي غرضًا بلاغيًا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت مكانها التي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي. انظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: ١٣٨. وقال السيوطي ﷺ: «من وجوه إعجازه ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبيّنة، وفي ذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولو الفصاحة، وللإجمال أسباب: منها: التقديم والتأخير». معترك الأقران: ١/ ١٦٤.

في قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ الأمر منسوب إلى المفيد المسمع فذكر أولًا: الآفاق، فإن لم يفهموه فالأنفس؛ لأن دلائل الأنفس لا ذهول للإنسان عنها، وهذا الترتيب مراعًى في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (آل عمران)؛ أي: يعلمون الله بدلائل الأنفس في سائر الأحوال، ويتفكرون في خلق السموات والأرض بدلائل الآفاق»[1].

وفي الآيات: اقتران سنة الله في عاقبة الظالمين بسنة الله في خلق السموات والأرض:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الروم).

ومن وجوه الإعجاز: المناسبة بين الآيات:

لَمَّا سيق إليهم دليل حكمة البعث والجزاء بالحق أعقب بإنذارهم موعظة لهم بعواقب الأمم الذين كذبوا رسلهم؛ لأن المقصود هو عاقبة تكذيبهم رسل الله؛ وهو قوله: ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾[2].

---

١) الرازي: ٢٥/ ٨٢.

٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١/ ٥٥.

الهدايات:

التأمل في مصائر الأمم الماضية:

وهم ناس من الناس، وخلق من خلق الله، تكشفت مصائرهم الماضية، عن مصائر خلفائهم الآتية؛ فسنة الله ماضية في الجميع، وسنة الله حق ثابت، يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب، فتتقلب معه العواقب.. حاشا لله رب العالمين[1]!

وقال ابن عاشور ﷺ: «وقد جمع قوله: ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وعيدًا على تكذيبهم النبي ﷺ وتجهيلًا لإحالتهم الممكن، حيث أيقنوا بأن الفرس لا يغلبون بعد انتصارهم؛ فهذه آثار أمم عظيمة كانت سائدة على الأرض فزال ملكهم وخلت بلادهم من سبب تغلب أمم أخرى عليهم. والمراد بالذين من قبلهم: عاد وثمود وقوم لوط وأمثالهم الذين شاهد العرب آثارهم»[2].

المطلب السادس: اقتران سنة الله ﷻ في التغيير بسنته الكونية:

قرن سبحانه وتعالى بين سنته في تغيير ما بالأنفس من خير أو شر، بسنته في خلق البرق والسحاب والرعد والصواعق، بنواميس تحكم الجميع، فكما أن النفس فيها الخير والشر، فكذلك البرق فيه الخير والشر، وجزاء الذي يغير ما بنفسه من السوء إلى الخير، كمثل السحاب الذي يأتي بالخير، وجزاء من يغير ما بنفسه إلى الشر، كمثل من لم يستجب لداعي الله؛ فأصابته الصواعق كما أصابت أفرادًا وأقوامًا.

---

١) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٧٦١، بتصرف.

٢) التحرير والتنوير: ٢١/ ٥٦.

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الرعد).

التفسير الإجمالي:

يعلم الله تعالى السر وما هو أخفى من السرِّ، يستوي في علمه من أخفى منكم- أيها الناس- القول، ومن أعلنه، ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس، ومن هو ظاهر بأعماله في وضح النهار، له سبحانه وتعالى ملائكة يعقب بعضهم بعضًا على الإنسان؛ فيأتي بعضهم بالليل، وبعضهم بالنهار؛ يحفظون الإنسان بأمر الله، ويكتبون أقواله وأعماله، إن الله لا يغير ما بقوم- من حال إلى حال غيره- حتى يغيروا ما بأنفسهم من حال، وإذا أراد الله سبحانه بقوم هلاكًا فلا راد لما أراده، وما لكم- أيها الناس- من دون الله مَن يَتولى أموركم، فتلجؤوا إليه لدفع ما أصابكم من بلاء.

هو الذي يريكم- أيها الناس- البرق، ويجمع لكم به الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وهو الذي ينشئ السحاب المثقل بماء المطر الغزير، ويسبِّح الرعد ربه تسبيحًا مقرونًا بحمده سبحانه، وتسبح الملائكة ربها خوفًا منه وإجلالًا وتعظيمًا له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته، فيهلكه، والكفار يخاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، قوي العقاب لمن عصاه.

من وجوه الإعجاز: المناسبة بين الآيات:

قال الرازي ﷺ: «اعلم أنه تعالى لما خوّف العباد بإنزال ما لا مرد له، أتبعه بذكر هذه الآيات؛ وهي مشتملة على أمور ثلاثة: وذلك لأنها دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته، وأنها تشبه النعم والإحسان من بعض الوجوه، وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه»[1].

وقال ابن عاشور ﷺ: «والمقصود تحذيرهم من الإصرار على الشرك بتحذيرهم من حلول العقاب في الدنيا في مقابلة استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة؛ ذلك أنهم كانوا في نعمة من العيش فبطروا النعمة، وقابلوا دعوة الرسول ﷺ بالهزء، وعاملوا المؤمنين بالتحقير، وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ (الزخرف)، وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ (المزمل)، فذكرهم الله بنعمته عليهم، ونبههم إلى أن زوالها لا يكون إلا بسبب أعمالهم السيئة بعد ما أنذرهم ودعاهم، وجعل البرق آية نذارة وبشارة معًا؛ لأنهم كانوا يسمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه.

واقتصر في العبرة بالصواعق على الإنذار بها؛ لأنها لا نعمة فيها؛ لأن النعمة حاصلة بالسحاب، وأما الرعد فآلة من آلات التخويف والإنذار؛ كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ (البقرة)»[2].

---

١) تفسير الرازي: ١٩/ ٢١.

٢) التحرير والتنوير: ١٣/ ١٠٥.

وقال سيد قطب ﷺ: «والصواعق ظاهرة طبيعية ناشئة من تركيب الكون على هذا المنوال، والله يصيب بها أحيانًا من غيّروا ما بأنفسهم، واقتضت حكمته ألا يمهلهم، لعلمه أنْ لا خير في إمهالهم، فاستحقوا الهلاك»[1].

مثال لمن أصابتهم الصواعق لما غيَّروا إلى الأسوأ:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ (فصلت)؛ أي: وأما ثمود قوم صالح، فقد بيَّنا لهم سبيل الحق وطريق الرشد، فاختاروا العمى على الهدى، فأهلكتْهم صاعقة العذاب المهين؛ بسبب ما كانوا يقترفون من الآثام، بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله.

الهدايات:

١) أنه سبحانه وتعالى هو القادر على أن ينزل على أعدائه عذابًا من عنده لا يستطيعون حيلة لدفعه ولا قوة على ردّه، لكنه يمهلهم لأجل معلوم، بحسب ما تقتضيه الحكمة.

٢) إذا كان الله وحده هو الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يَخاف منها العبادُ وتزعجهم، وهو شديد القوة- فهو الذي يستحق أن يُعْبَد وحده لا شريك له.

٣) زوال النعم عن العباد لا يكون إلا بسبب أعمالهم السيئة بعد ما يُنْذَروا.

---

١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٠٥١.

المطلب السابع: اقتران سنة الله في التشريع بسنته في تسخير الأرض والفلك:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ (الحج).

التفسير الإجمالي:

ألم تر- أيها الرسول- أن الله ذلّل لك وللناس ما في الأرض من الدواب والجمادات، لمنافعكم وحاجاتكم، وذلل لكم السفن تجري في البحر بأمره وتسخيره من بلد إلى بلد، وهو الذي يمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا بإذنه، فلو أذن لها أن تسقط عليها لسقطت، إن الله بالناس لرؤوف رحيم؛ حيث سخّر لهم هذه الأشياء مع ما فيهم من ظلم.

والله هو الذي أحياكم إذ أوجدكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم إذا انقضت أعماركم، ثم يحييكم بعد موتكم؛ ليحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها، إن الإنسان لكثير الجحد لنعم الله مع أنها ظاهرة.

لكل أهل ملة جعلنا شريعة، فهم يعملون بشريعتهم، فلا ينازعنك- أيها الرسول- المشركون وأهل الأديان الأخرى في شريعتك، فأنت أولى بالحق منهم؛ لأنهم أصحاب باطل، وادع الناس إلى إخلاص التوحيد لله، إنك لعلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

من وجوه الإعجاز: المناسبة بين الآيات:

قال الرازي ﷺ عن سبب ذكر المنسك بعد تسخير الأرض والفلك: «اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر نعمه وبين أنه رؤوف رحيم بعباده وإن كان منهم من يكفر ولا يشكر، أتبعه بذكر نعمه بما كلف»[1]؛ فكلاهما نعمة من نعمه على خلقه، تستوجب الشكر.

الهدايات:

إنَّ الله ﷻ كما خلق السموات والأرض والفلك بسنن حاكمة وضابطة، كذلك جعل من سنته أنّ لكل أمة من الأمم شريعتها التي تلائم ظروفها وأحوالها، وذلك رحمة من الله سبحانه بعباده؛ إذ لو أخذهم الله جميعًا بشريعة واحدة منذ بدء الخليقة، لكان في ذلك إعنات لهم، وتضييق عليهم؛ إذ يصبحون بهذه الشريعة في حال من الجمود، لا يتحركون معه إلى يمين أو شمال، أو أمام أو وراء.. والحياة الإنسانية تتحرك دائمًا، متقلبة الأحوال.. وهي- في حركتها وتقلبها- تتجه إلى الأمام دائمًا.. فكان من حكمة الحكيم، ورحمة الرحيم: أن جعل شِرعَة فيهم مناسبة لظروفهم وأحوالهم، يلقاهم أمّة أمّة، وجماعة جماعة، فيعطي كل أمة وكل جماعة ما يصلح لها ويسدّد خطوها على طريق الحياة.. وهذه وتلك سنن ثابتة مطردة دقيقة.

والأمة التي تسير وفق ما شرعه الله لها تنتظم حياتها، وتبلغ الكمال المقدر لها في الحياة، كما تنتظم السموات والأرض والفلك وفق سنن الله فيها؛ فكلاهما من مشكاة واحدة، وبذلك يحدث الانسجام بين الكون المُسَخر، وبين الإنسان المتعبّد بشِرعَة الله، فكلاهما من سنن الله في الكون.

---

١) تفسير الرازي: ٢٣/ ٢٤٨.

المطلب الثامن: اقتران سنن الله في نظام الحياة من موت وابتلاء، بسنته في السموات والأرض والماء والليل والنهار:

قرن الله ﷻ بين حقيقة الابتلاء وحقيقة الموت، وبين بعض الحقائق في الكون؛ فكلاهما من قدرته وحكمته.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء).

التفسير الإجمالي:

أولم يعلم الذين كفروا الله أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين، لا فراغ بينهما فينزلَ منه المطر، ففصلنا بينهما، وجعلنا من الماء النازل من السماء إلى الأرض كل شيء من حيوان أو نبات، أفلا يعتبرون بذلك ويؤمنون بالله وحده؟!

وخلقنا في الأرض جبالًا ثابتة حتى لا تضطرب بمن عليها، وجعلنا فيها مسالكَ وطرقًا واسعة لعلّهم يهتدون في أسفارهم إلى مقاصدهم.

وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا من السقوط من غير عَمَد، ومحفوظًا من استراق السمع، والمشركون عما في السماء من الآيات- كالشمس والقمر- معرضون لا يعتبرون، والله وحده هو الذي خلق الليل للراحة، وخلق النهار لكسب المعاش، وخلق الشمس علامة على النهار، والقمر علامة على الليل، كل من الشمس والقمر يجري في مداره الخاص به، لا ينحرف عنه، ولا يميل.

وما جعلنا لأحد من البشر قبلك- أيها الرسول- البقاء في هذه الحياة، أفإن انقضى أجلك في هذه الحياة، ومتّ فهؤلاء باقون بعدك؟! كلا، كل نفس- مؤمنةأو كافرة- ذائقة الموت في الدنيا، ونختبركم- أيها الناس- في الحياة الدنيا بالتكاليف والنعم والنقم، ثم بعد موتكم، إلينا لا إلى غيرنا ترجعون، فنجازيكم على أعمالكم.

من وجوه الإعجاز في الآيات: المناسبة بين الآيات:

يقول الرازي ﷺ: «اعلم أنه ﷻ لما استدل بالأشياء التي هي من أصول النعم الدنيوية، أتبعه بما نبه به على أن هذه الدنيا جعلها كذلك لا لتبقى وتدوم أو يبقى فيها من خلقت الدنيا له، بل خلقها ﷻ للابتلاء والامتحان، ولكي يتوصل بها إلى الآخرة التي هي دار الخلود»[1].

ويقول سيد قطب ﷺ: «يربط السياق بين نواميس الكون: في خلقه، وتكوينه، وتصريفه، ونواميس الحياة البشرية: في طبيعتها، ونهايتها، ومصيرها»[2].

الهدايات:

يُفْهَم من سياق الآيات الكونية أنها تدل على حقائق علمية، كما أن الموت والابتلاء حقائق في الأنفس، فجمعت الآيات بين الحقائق في الآفاق والحقائق في الأنفس.

المطلب التاسع: اقتران سنة الله في إهلاك الظالمين بسنته في علم الغيب:

قرن الله ﷻ بين سنته في إهلاك الظالمين وسنته في علم الغيب؛ لأنه ﷻ العالِم متى يستحقون العذاب، ومتى يُؤَخّر عنهم، وكيفيته، ومدته.

---

١) تفسير الرازي: ٢٢/ ١٤٢. بتصرف.

٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٧٧.

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنعام).

التفسير الإجمالي:

قل -أيها الرسول- لهم: لو كان عندي وفي قبضتي ما تستعجلون به من العذاب، لأنزلته بكم، وعند ذلك يُقْضَى الأمر الذي بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين: كم يمهلهم؟ ومتى يعاقبهم؟ وعند الله وحده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البر من حيوان ونبات وجماد، ويعلم ما في البحر من حيوان ونبات، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب، ولا يوجد يابس؛ إلا كان مثبتًا في كتاب واضح، هو اللوح المحفوظ. والله هو الذي يقبض أرواحكم عند النوم قبضًا مؤقتًا، وهو الذي يعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار وقت نشاطكم، ثم يبعثكم في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم، لتقوموا بأعمالكم، حتى تنتهي آجال حياتكم المقدرة عند الله، ثم إليه وحده رجوعكم بالبعث يوم القيامة، ثم يخبركم بما كنتم تعملونه في حياتكم الدنيا، ويجازيكم عليه.

من وجوه الإعجاز في الآيات: المناسبة بين الآيات:

مناسبة قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ لما قبلها:

اعلم أنَّه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ يعني: أنه سبحانه هو العالم بكل شيء فهو يعجل ما تعجيله أصلح، ويؤخر ما تأخيره أصلح[1].

قال الشيخ رشيد رضا ﷺ: «لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبين للمشركين أنه على بينة من ربه فيما بلغهم إياه من رسالته، وأن ما يستعجلون به من عذاب الله ونصره عليهم- تعجيزًا أو تهكمًا أو عنادًا- ليس عنده، وإنما هو عند الله الذي قضت سنته أن يكون لكل شيء أجل وموعد لا يتقدم ولا يتأخر عنه، وأنه تعالى هو الذي يقضي الحق ويقصه على رسوله، وبيده تنفيذ وعده ووعيده- قَفَّى على ذلك ببيان كون مفاتح الغيب عنده، وكون التصرف في الخلق بيده، وكونه هو القاهر فوق عباده لا يشاركه أحد من رسله ولا غيرهم في ذلك حتى يصح أن يطالبوا به»[2].

ومن وجوه الإعجاز في النظم القرآني وبلاغته: طريقة التخلص[3]:

قال ابن عاشور ﷺ: «عطف على جملة: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام:٥٨) على طريقة التخلص. والمناسبة في هذا التخلص هي الإخبار بأن الله أعلم بحالة الظالمين، فإنها غائبة عن عيان الناس، فالله أعلم بما يناسب حالهم من تعجيل الوعيد أو تأخيره، وهذا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب وسعة علمه ثم سعة قدرته وأن الخلق في قبضة قدرته»[4].

---

١) ينظر: تفسير الرازي: ١٣/ ١٠.

٢) المنار: ٧/ ٣٨١.

٣) حسن التخلص من دقيق البلاغة؛ قال السيوطي ﷺ: «وهو أن ينتقل مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسًا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما». انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٤٧.

٤) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٧٠.

ومن وجوه الإعجاز في النظم القرآني: الاستعارة[1]:

قال ابن عاشور ﷺ: «ومفاتح الغيب هنا استعارة تخييلية تنبني على مَكْنِيَّة؛ بأن شبهت الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتحها، وأثبتت لها المفاتح على سبيل التخييلية، والقرينة هي إضافة المفاتح إلى الغيب»[2].

ومن وجوه الإعجاز: المناسبة بين الآيات:

مناسبة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ لما قبلها:

قال الرازي ﷺ: «اعلم أنه تعالى لما بين كمال علمه بالآية الأولى بيّن كمال قدرته بهذه الآية وهو كونه قادرًا على نقل الذوات من الموت إلى الحياة، ومن النوم إلى اليقظة، واستقلاله بحفظها في جميع الأحوال، وتدبيرها على أحسن الوجوه حالة النوم واليقظة»[3].

وقال ابن عاشور ﷺ: «عطف جملة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم﴾ على جملة ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ (الأنعام: ٥٩)؛ انتقالًا من بيان سعة علمه

---

١) قال السيوطي ﷺ: «حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو حصول المبالغة، أو المجموع». انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٢٠٨.

٢) التحرير و التنوير: ٢٧١/١.

٣) تفسير الرازي: ١٢/١٣.

إلى بيان عظيم قدرته[1]؛ لأن ذلك كله من دلائل الإلهية تعليمًا لأوليائه، ونعيًا على المشركين أعدائه. وقد جرت عادة القرآن بذكر دلائل الوحدانية في أنفس الناس عقب ذكر دلائلها في الآفاق؛ فجمع ذلك هنا على وجه بديع مؤذن بتعليم صفاته في ضمن دليل وحدانيته؛ وفي هذا تقريب للبعث بعد الموت»[2].

الهدايات:

١) الواجب أن يفوض إليه إنجاز وعده لرسوله بالنصر، ووعيده لأعدائه بالعذاب والقهر، مع القطع بأنه لا يخلف وعده رسله، وإنما يؤخر إنجازه إلى الأجل الذي اقتضته حكمته.

٢) ضرورة الأخذ بأسباب النصر؛ حتى يتحقق وعد الله للمؤمنين.

٣) علم الله ﷻ بالجزئيات والكليات.

٤) عدم اليأس من رحمة الله تعالى، فسبحانه يقدر الأمور بحكمته العلية.

---

١) ولذلك يَقْرِن القرآن بين صفتي العلم والقدرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ (النحل)، وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ (الروم)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ (فاطر)، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (الشورى)، وقوله: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ (الطلاق)، ودلالة هذا الاقتران: أن اقتران العلم بالقدرة يدل على كماله عز وجل في الوصفية؛ لأن العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الإفساد والظلم والطغيان.

٢) التحرير و التنوير: ٢٧١/١.

المطلب العاشر: اقتران سنة الله في التدافع بين الحق والباطل بسنته في إنزال الماء:

قرن الله ﷻ بين سنته في التدافع بين الحق والباطل وبين سنته الكونية في إنزال الماء الذي يندفع فيزيل ما علق به من شوائب، مع بقائه؛ لينفع الناس.

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الرعد).

التفسير الإجمالي:

ضرب الله مثلًا لتلاشي الباطل وبقاء الحق، بماء مطر نازل من السماء، حتى سالت به الأودية، كلٌّ حسب حجمه صغرًا وكبرًا، فحمل السيل الغثاء والرغوة مرتفعًا فوق الماء، وضرب مثلًا آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة؛ ابتغاء صهرها وصنع ما يتزين الناس به، بمثل هذين المثلين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطل مثل الغثاء والزبد الطافي على الماء، ومثل ما ينفيه صهر المعدن من الصدأ؛ والحق مثل الماء الصافي الذي يشرب منه وينبت الثمار والكلأ والعشب، ومثل ما بقي من المعدن بعد صهره فينتفع الناس به، كما ضرب الله هذين المثلين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل.

من وجوه الإعجاز: التشبيه بالكناية والتعريض[1]:

قال الشيخ ابن عاشور ﷺ: «وقد علم أن الزبد مثل للباطل، وأن الماء مثل

---

١) قال السيوطي ﷺ: «من وجوه إعجازه: وقوع الكناية والتعريض، والكناية أبلغ من التصريح، وهي من أنواع البلاغة وأساليبِ الفصاحة. وعرّفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه. وقال الطيبي: ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم، فينتقل منه إلى الملزوم». معترك الأقران: ١/ ٢١٦.

للحق، فارتقى عند ذلك إلى ما في المثلين من صفتي البقاء والزوال؛ ليتوصل بذلك إلى البشارة والنذارة، لأهل الحق وأهل الباطل، بأن الفريق الأول هو الباقي الدائم، وأن الفريق الثاني زائل بائد.

فصار التشبيه تعريضًا وكناية عن البشارة والنذارة؛ كما دل عليه قوله عقب ذلك: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ (الرعد)»[1].

ويلاحظ في هذا النص مثلان متشابهان:

أحدهما: مشهد من المشاهد الكونية المتكررة التي يشاهدها الذين يعيشون في متقلبات الأحوال الجوية.

وثانيهما: مشهد آخر، يلاحظه أرباب الصناعات المعدنية داخل مصانعهم.

وفي كل من المثلين ظواهر تماثل حركة التدافع بين الحق والباطل، والمحقين والمبطلين، ونتائج هذا الصراع[2].

والغرض من هذا التمثيل تقريب الأمر المعنوي إلى الأذهان بتمثيله بمثال مادي، يدرك بالحس الظاهر.

يقول الشيخ رشيد رضا ﷺ حول سنة الصراع بين الحق والباطل: «فهذا إرشاد إلى تنازع البقاء والدفاع عن الحق، وأنه ينتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل؛ فهو

---

١) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٦٨.

٢) ينظر: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ص ٦٤ وما بعدها.

يفيد أن سيول الحوادث ونيران التنازع تقذف زبد الباطل الضار في الاجتماع وتدفعه، وتبقي إبليز الحق النافع الذي ينمو فيه العمران، وإبريز المصلحة التي يتحلى بها الإنسان»[1].

ويقول سيد قطب ﷺ: «إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاءً، فيطفو على وجهه في صورة الزبد، حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان. هذا الزبد نافشٌ رابٍ منتفخٌ.. ولكنه بعدُ غثاءٌ، والماء من تحته سارب ساكن هادئ.. ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة.. كذلك يقع في المعادن التي تذاب؛ لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية أو آلة نافعة للحياة؛ كالحديد والرصاص، فإن الخَبَث يطفو، وقد يحجب المعدن الأصيل. ولكنه بعدُ خَبَثٌ يذهب ويبقى المعدن في نقاء. ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة. فالباطل يطفو، ويعلو، وينتفخ، ويبدو رابيًا طافيًا، ولكنه بعدُ زبدٌ أو خبثٌ ما يلبث أن يذهب جفاءً مطروحًا، لا حقيقة له، ولا تماسك فيه. والحق يظل هادئًا ساكنًا. وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات. ولكنه هو الباقي في الأرض، كالماء المحيي والمعدن الصريح؛ ينفع الناس»[2].

«فالصراع الذي يقع بين الحق والباطل، يثير في الحياة غبارًا ودخانًا، يعكر من صفو الحياة، حتى ليبدو لأول نظرة أن غير هذا الصراع أولى بالناس، ولكن تلك هي سنة الحياة؛ إذ كان من شأن الباطل دائمًا أن يحتك بالحق، وأن يعترض سبيله،

---

١) تفسير المنار: ٢/ ٣٩٥.

والإبليز: أصله طين مصر الذي يُعقبُه النِّيلُ بعدَ ذَهابِه عن وَجْهِ الأرض، أعجميَّةٌ، والعامّة تقوله بالسين. والإبريز: الذهب الخالص. والمراد منهما: مثل ماينفع الناس ويبقى بعد زوال الغثاء والزبد.

٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٠٥٤.

وكان على الحق أن يعمل على الخلاص منه، حتى يصفر وجهه، ويتمكن الناس من الانتفاع به.. تمامًا كما ينتفعون بالماء، بعد أن يدور دورته، ويخلص من الزبد الذي علق به!!

والذين يشهدون الصراع الدائر بين الحق والباطل، ويرصدون مواقع القتال بينهما، وما يقع من انتصارات وهزائم، هؤلاء قد يرون للباطل دولة دونها دولة الحق، ويرون للمبطلين صولة دونها صولة المحقّين، ومن أجل هذا نجد كثيرًا من الناس يضيقون بالحق ذرعًا، ولا يصبرون على المكاره في سبيل الانتصار له والدّفاع عنه.. وهؤلاء قد فاتهم أن هذه المكاره التي تحفّ بالحق، هي الثمن الذي يؤديه أصحاب المثل العليا، والنزعات الطيبة لما يجنون من ثمرات مباركة، هي غذاء الأرواح، وزاد القلوب، وهي التي تلد الرجال، وتربي للإنسانية قادتها الراشدين، وزعماءها المصلحين»[1].

الهدايات:

١) ذهاب الباطل واضمحلاله بسنة التدافع، وبقاء الحق بثبات أهله عليه؛ لنفع الناس.

٢) إذا كره القلب الشبهات والشهوات، وجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، ذهبت واضمحلت وبقي القلب خالصًا صافيًا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه.

---

١) التفسير القرآني للقرآن: ٧/ ٩٥.

المطلب الحادي عشر: اقتران سنة الله في المكر[1] بسنة الله في ثبات الجبال الرواسي:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ (إبراهيم).

التفسير الإجمالي:

وقد دبر هؤلاء النازلون في مساكن الأمم الظالمة المكايد لقتله ﷺ، والقضاء على دعوته، والله يعلم تدبيرهم، لا يخفى عليه منه شيء، وتدبير هؤلاء ضعيف، فهو لا يزيل الجبال ولا غيرها لضعفه، خلافًا لمكر الله بهم.

من وجوه الإعجاز في النظم القرآني في الآية: أسلوب ضرب الأمثال[2]:

قال الرازي رحمه الله: «والجبال هاهنا مثل لأمر النبي ﷺ، ولأمر دين الإسلام، وإعلامُه ودلالتُه على معنى أن ثبوتها كثبوت الجبال الراسية؛ لأن الله تعالى وعد نبيه إظهار دينه على كل الأديان؛ ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ (إبراهيم)؛ أي: قد وعدك الظهور والغلبة عليهم، والمعنى: وما كان مكرهم لتزول

---

١) المَكْرُ: صرف الغير عمّا يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (آل عمران)، ومذموم، وهو أن يتحرّى به فعل قبيح، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (فاطر: ٤٣).

٢) قال السيوطي رحمه الله: «... من وجوه إعجازه: ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة». معترك الأقران: ٣٥١/١، وقال الزركشي رحمه الله: «... وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب». البرهان: ٤٨٨/١.

منه الجبال؛ أي: وكان مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد ﷺ، ودلائل شريعته»[1].

ومن وجوه الإعجاز في النظم القرآني في الآية: أسلوب التعريض:

وقال ابن عاشور ﷺ: «قرأ الجمهور ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام وبنصب الفعل المضارع بعدها، فتكون «إِنْ» نافية، ولام ﴿لِتَزُولَ﴾ لام الجحود؛ أي: وما كان مكرُهم بحيث تزولُ منه الجبال، وهو استخفاف بهم؛ أي: ليس مكرهم بمتجاوز مكر أمثالهم، وما هو بالذي تزول منه الجبال. وفي هذا تعريض بأن الرسول ﷺ والمسلمين- الذين يريد المشركون المكر بهم- لا يزعزعهم مكرهم؛ لأنهم كالجبال الرواسي»[2].

ومن وجوه الإعجاز في النظم القرآني في الآية: أسلوب المبالغة[3]:

قرأ الكسائي وحده- بفتح اللام الأولى- من ﴿لَتَزُولُ﴾ ورفع اللام الثانية، على أن تكون «إِنْ» مخففة من «إِنَّ» المؤكدة، وقد أهملت فلا عمل لها، واللام فارقة بينها وبين النافية، فيكون الكلامُ إثباتًا لزوال الجبال من مكرهم؛ أي: هو مكر عظيم وإن الجبال لَتزولُ منه، لو كان لها أن تزول؛ أي: جديرة بذلك، فهو مستعمل في معنى الجدارة والتأهل للزوال لو كانت زائلة. وهذا من المبالغة في حصول أمر شنيع أو شديد في نوعه، على نحو قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ (مريم)[4]؛ ففي الأولى تكون الجبال حقيقة، وفي الثانية تكون مجازًا[5].

---

١) تفسير الرازي: ١١٠/١٩.

٢) التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٧١.

٣) وهي أن يكون للشيء صفة ثابتة فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه، فيدعى له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع أو يحيل عقله ثبوته. البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣/ ٥٢.

٤) التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٧١.

٥) ينظر: مناهل العرفان: ١/ ١٨٦.

المطلب الثاني عشر: اقتران سنة الله في ابتلاء[1] المكلفين بسنته في خلق السموات والأرض:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ (هود).

التفسير الإجمالي:

وهو سبحانه الذي خلق السموات والأرض على عظمهما، وخلق ما فيهما في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ ليختبركم- أيها الناس- أيكم أحسن عملًا بما يرضي الله، وأيكم أسوأ عملًا بما يسخطه، فيجازي كلًّا بما يستحقه، ولئن قلت- أيها الرسول-: إنكم أيها الناس مبعوثون بعد موتكم لتحاسبوا، ليقولن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث: ما هذا القرآن الذي تتلوه إلا سحر واضح، فهو باطل واضح البطلان.

من وجوه الإعجاز في النظم القرآني في الآية: الإيجاز، ومنه التعليل[2]:

قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾ واللام للتعليل، والبلو: الابتلاء؛ أي: اختبار شيء لتحصيل علم بأحواله، وهو مستعمل كناية عن ظهور آثار خلقه

---

١) الابتلاء- في الأصل-: التكليف بالأمر الشاق من البلاء، لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن ترادفهما، وقال بعضهم: الابتلاء يكون في الخير والشر معًا، يقال في الخير: أبليته، وفي الشر: بلوته بلاء. الكليات: ١/ ٣٤.

٢) قال السيوطي ﷺ: «وفائدته التقرير والأبلغية؛ فإن النفوس أبعثُ على قبول الأحكام المعلَّلة من غيرها، وغالبُ التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى». انظر: معترك الأقران: ٢٨٢/١.

تعالى للمخلوقات؛ لأن حقيقة البلو مستحيلة على الله؛ لأنه العليم بكل شيء، فلا يحتاج إلى اختباره؛ على نحو قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴿١٤٣﴾﴾ (البقرة).

وجُعل البلو علة لخلق السموات والأرض؛ لكونه من حكمة خلق الأرض؛ باعتبار كون الأرض من مجموع هذا الخلق، ثم إن خلق الأرض يستتبع خلق ما جعلت الأرض عامرة به، واختلاف أعمال المخاطبين من جملة الأحوال التي اقتضاها الخلق، فكانت من حكمة خلق السموات والأرض، وكان التعليل هنا بمراتب كثيرة، وعلة العلة علة[1].

«وخلق السموات والأرض في ستة أيام، يساق هنا للربط بين النظام الذي يقوم عليه الكون، والنظام الذي تقوم عليه حياة الناس.

والسياق يظهر أنَّ خلق السموات والأرض في ستة أيام- مع سيطرة الله سبحانه على مقاليده- كان من أجل ابتلاء الإنسان؛ ليعظم هذا الابتلاء ويشعر الناس بأهميتهم وبجدية ابتلائهم.

وكما جهز الخالق هذه الأرض وهذه السموات بما يصلح لحياة هذا الجنس، جهز هذا الجنس كذلك باستعدادات وطاقات، وبنى فطرته على ذات القانون الذي يحكم الكون وترك له جانبًا اختياريًّا في حياته، يملك معه أن يتجه إلى الهدى فيعينه الله عليه ويهديه، أو أن يتجه إلى الضلال فيمد الله له فيه، وترك الناس يعملون، ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، يبلوهم لا للعلم فهو يعلم، ولكن يبلوهم ليظهر المكنون من أفعالهم، فيتلقوا جزاءهم عليها كما اقتضت إرادة الله وعدله»[2].

---

١) التحرير والتنوير: ١١/ ٢٠٩.

٢) في ظلال القرآن: ٤/ ١٨٥٩.

قال ابن عطية ﷺ: «ومعنى قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: ليعلم رسولي والمؤمنون به، وجاء الإسناد بنون العظمة؛ إذ هم حزبه وخالصته، وهذا شائع في كلام العرب كما تقول: فتح عمر العراق وجبى خراجها، وإنما فعل ذلك جنده وأتباعه، فهذا وجه التجوز إذا ورد علم الله تعالى بلفظ استقبال لأنه قديم لم يزل.

ووجه آخر: وهو أن الله تعالى قد علم في الأزل من يتبع الرسول، واستمر العلم حتى وقع حدوثهم، واستمر في حين الاتباع والانقلاب، ويستمر بعد ذلك، والله تعالى متصف في كل ذلك بأنه يعلم، فأراد بقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، ذكر علمه وقت مواقعتهم الطاعة والمعصية؛ إذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب، فليس معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنبتدئ العلم، وإنما المعنى: لنعلم ذلك موجودًا، وحكى ابن فورك أن معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنثيب، فالمعنى: لنعلمهم في حال استحقوا فيها الثواب، وعلق العلم بأفعالهم؛ لتقوى الحجة ويقع التثبت فيما علمه لا مدافعة لهم فيه»[1].

الهدايات:

١) للعمل الأحسن شرطان: أن يكون لوجه الله، وأن يكون متبعًا فيه الشرع والسنة.

٢) أن الله تعالى سخر لنا ما في الأرض وجعلنا مستعدين لإبراز ما أودعه فيها من منافع وفوائد مادية ومعنوية، ومستعدين للإفساد والضرر؛ ليجزي كل عامل بما يعمل، وإنما يتم ذلك ويظهر في الآخرة.

---

١) تفسير ابن عطية: ١/ ٢٢٠.

الخاتمة

وأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي وفقني للانتهاء من هذا البحث، وأسأله سبحانه وتعالى القبول الحسن.

وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١) من وسائل التدبر: النظر في النظم القرآني وعلاقة الآيات بعضها ببعض.

٢) نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة.

٣) من دلالة النظم القرآني: دلالة مواقع جُمَلِه بحسب ما قبلها وما بعدها.

٤) من وسائل التدبر: النظر في المناسبة بين الآيات.

٥) من وسائل التدبر: النظر في الاقتران بين الألفاظ وبين الجمل وبين الآيات القرآنية، وأن الاقتران يضيف معنًى زائدًا عن الإفراد.

٦) قرن الله بين السنن الاجتماعية والسنن الكونية؛ لبيان قدرته وحكمته في إدارة شؤون كونه وخلقه؛ وليبين للخلق جميعًا أنه المستحق للعبادة.

من أهم التوصيات:

أوصي الباحثين وطلاب العلم بكتابة رسائل علمية في أثر النظم القرآني والاقتران في تدبر القرآن.

المصادر والمراجع

م	اسم المرجع
١	القرآن الكريم
٢	أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣	أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط / دار القلم.
٤	البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م.
٥	تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٦	التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس.
٧	التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٨	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

م	اسم المرجع
٩	تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ
١٠	التفسير القرآني للقرآن: الدكتور عبد الكريم الخطيب، دار النشر: دار الفكر العربي- القاهرة.
١١	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.
١٢	جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق د. محمد رشاد سالم. مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
١٣	الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤	الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٥	السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد: الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١- ١٤١٣-١٩٩٣م.
١٦	سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن دراسة تأصيلية تطبيقية: بكار محمود الحاج جاسم، دار النوادر، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ
١٧	سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم: حسن بن صالح الحميد، دار الهدي النبوي بمصر، ودار الفضيلة بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ

م	اسم المرجع
١٨	شرح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت.
١٩	في ظلال القرآن: سيد قطب، الشروق، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
٢٠	القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢١	الكليات.. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٢	لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
٢٣	مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٤	مجلة الفرقان الصادرة عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالأردن، العدد ١٢٨: أكتوبر ٢٠١٢م.
٢٥	مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٦	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ

م	اسم المرجع
٢٧	مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث_ القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٨	مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
٢٩	معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٠	معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣١	مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٢	المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
٣٣	المناسبات بين الآيات والسور فوائدها.. وأنواعها.. وموقف العلماء منها: د. سامي عطا حسن، جامعة آل البيت.
٣٤	مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
٣٥	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
خطة البحث	٧
المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث:	٩
المطلب الأول: الإعجاز في النظم القرآني	٩
المطلب الثاني: النظم من وجوه إعجاز القرآن	١١
المطلب الثالث: بناء نظم القرآن	١١
المطلب الرابع: علم المناسبات	١٥
المبحث الثاني: التعريف بالسنن الاجتماعية والكونية والفرق بينهما	١٧
المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للسنن	١٧
المطلب الثاني: السنن الكونية تُنْقَض لتحقيق السنن الاجتماعية لحِكَم إلهية	١٩
المطلب الثالث: مفهوم دلائل الآفاق (السنن الكونية) ودلائل الأنفس (السنن الاجتماعية)	٢١
المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية: نماذج من اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية	٢٥
المطلب الأول: اقتران سنة الله في الجزاء بين الخلق، بسنته في خلق السموات والأرض بالحق	٢٥

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: اقتران سنة الله في إيتاء الملك ونزعه، بسنة الله في إيلاج الليل والنهار	٣٠
المطلب الثالث: اقتران سنة الله في النصر، بسنة الله في إيلاج الليل والنهار	٣٢
المطلب الرابع: اقتران سنة الله في الرزق، بسنة الله في خلق السموات والأرض، وتسخير الشمس والقمر	٣٦
المطلب الخامس: اقتران سنة الله في النصر بسنته في خلق السموات والأرض بالحق	٤٠
المطلب السادس: اقتران سنة الله ﷻ في التغيير بسنته الكونية	٤٤
المطلب السابع: اقتران سنة الله في التشريع بسنته في تسخير الأرض والفلك	٤٨
المطلب الثامن: اقتران سنن الله في نظام الحياة من موت وابتلاء، بسنته في السموات والأرض والماء والليل والنهار	٤٩
المطلب التاسع: اقتران سنة الله في إهلاك الظالمين، بسنته في علم الغيب	٥١
المطلب العاشر: اقتران سنة الله في التدافع بين الحق والباطل، بسنته في إنزال الماء	٥٦
المطلب الحادي عشر: اقتران سنة الله في المكر، بسنته في ثبات الجبال الرواسي	٦٠
المطلب الثاني عشر: اقتران سنة الله في ابتلاء المكلفين، بسنته في خلق السموات والأرض	٦٢
الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات	٦٥
المصادر والمراجع	٦٦
فهرس الموضوعات	٧١